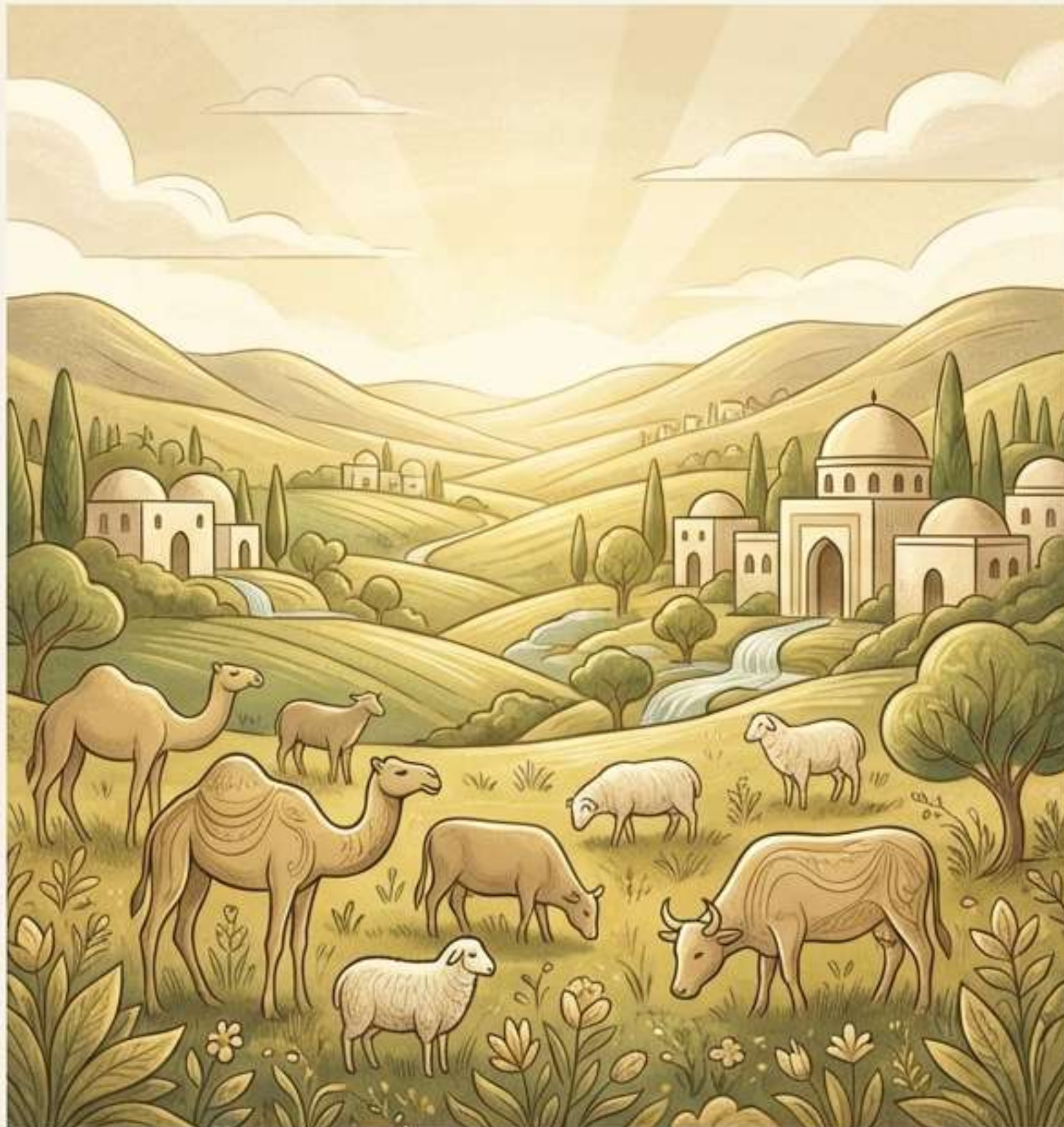


صبر أيوب: قصة الابتلاء العظيم والجزاء الأوفى



"إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ" - سورة ص.



"وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ" : نَبِيٌّ شَاكِرٌ فِي نَعِيمٍ

قبل الابتلاء، كان أيوب عليه السلام نموذجًا للعبد الشاكر. أنعم الله عليه بالثروة في الشام، وأعطاه من كلّ أصناف المال: من الإبل والبقر والخيول والغنم، ومنحه الأهل والولد. كان نبيًا بَرًّا، تَقِيًّا، رَحِيمًا، لم ينقطع لسانه عن حمد الله وشكره.

"كان أيوب رجلًا من الروم... وكان بَرًّا تَقِيًّا رَحِيمًا."
- (نقلًا عن وهب وكعب)

حسد إبليس: حوار في السماء وبداية الابتلاء

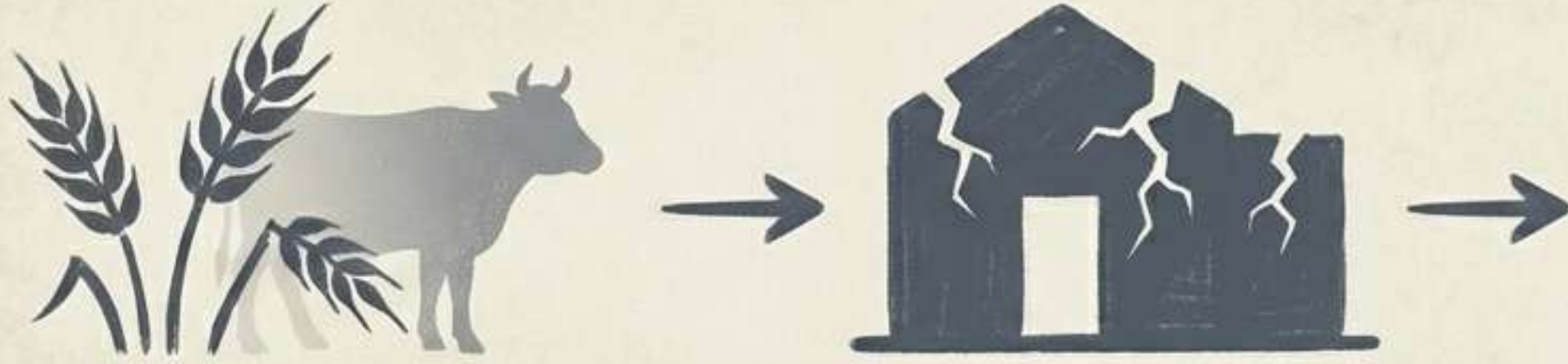
رأى إبليس شكر أيوب يصعد إلى السماء، فحسده. وقال لله تعالى: "يا رب إن أيوب لم يؤد إليك شكر هذه النعمة إلا بما أعطيته من الدنيا، ولو حرمته دنياه ما أدى إليك شكر نعمة أبداً". فأذن الله لإبليس، ثقةً بعبده أيوب، أن يسلطه على ماله وولده، ليكون صبر أيوب وشكره حجة خالدة.

نقاط رئيسية:

- * **الدافع:** حسد إبليس من مكانة أيوب وشكره.
- * **الحجة:** ادعاء إبليس أن إيمان أيوب مشروط بالنعمة.
- * **الإذن الإلهي:** ثقة الله المطلقة بعبده، والسماح بالابتلاء لحكمة عظيمة.

الشكر

أول الغيث: ذهاب المال والولد



بدأ الابتلاء سريعاً ومدمراً. أهلك إبليس وأعوانه زرع أيوب ومواشيه، مالاً بعد مال. ثم جاءت الفاجعة الكبرى، فانهدم القصر القصر على أولاده فماتوا جميعاً.

ردة فعل أيوب:

في كل مرة، كان جواب أيوب واحداً: الحمد لله. بعد فقد ماله، قال: "الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني". وبعد فقد ولده، ورغم ألمه الإنساني، رجع إلى ربه وتاب. فكانت النتيجة عكس ما أراد إبليس تماماً.

"فَارْزَدَادَ أَيُّوبُ لِلَّهِ شُكْرًا وَحَمْدًا."



الابتلاء في الجسد: "أني مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ"

لما رأى إبليس أن فقد المال والولد لم يزد أيوب إلا صبراً، طلب من الله أن يسلطه على جسده. فأذن الله له، لكن بسلطان محدود. فنفخ إبليس في جسد أيوب أيوب فصار قرحة واحدة من قرنه إلى قدمه.

*** مدة البلاء:** استمر هذا البلاء الشديد سبع سنين، كما روي عن الإمام الصادق (ع)، وفي رواية أخرى ثماني عشرة سنة.

*** العزلة والألم:** بسبب مرضه، تجنّب الناس وأخرجوه من القرية إلى مزبلة خارجها، ولم يبق معه إلا زوجته الوفية.

وقفه فقهية: هل ابتلي الأنبياء بمرض مُنْفَرٍ؟

تختلف الروايات في وصف مرض أيوب، مما أدى إلى نقاش علمي حول طبيعة بلاء الأنبياء:

الرأي الثاني (متكلمو الإمامية كالسيد المرتضى)

- الأنبياء منزهون عن العلل التي توجب تنفر الطبائع (كالبرص والجذام)، لأن ذلك يعيق مهمتهم في الدعوة.
 - كان مرضه شديداً ومؤلماً، لكنه لم يكن مستقذراً أو منفراً.
- * إِنَّمَا اجْتَنَبَهُ النَّاسُ لِفَقْرِهِ وَضَعْفِهِ فِي ظَاهِرِ أَمْرِهِ لَجَهْلِهِمْ بِمَا لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ.

الرأي الأول (روايات العامة وبعض الخاصة)

- أصابه مرض مستقذر، نتنت رائحته وخرج الدود من جسده.
 - هذا ما أدى إلى نفور الناس وإخراجه من القرية.
- * فَلَمَّا دُنُوا مِنْهُ نَفَرْتُ بَغَالِهِمْ مِنْ تَتْنِ رِيحِهِ.

الخلاصة: جوهر القصة هو شدة الألم والصبر عليه، بغض النظر عن تفاصيل المرض الدقيقة التي تبقى محل نقاش بين العلماء.

بين وفاء الزوجة وقسوة الصديق

في عزلته، كان لأيوب مصدران للألم والسلوان:

أصحابه الذين اتهموه:

* زاروه وقالوا له: "لو أخبرتنا
بذنبك، فما نرى ابتلاءك بهذا
البلاء الذي لم يبتل به أحد إلا
من أمر كنت تسره".

* اتهامهم له بذنب خفي كان
أشد عليه من المرض، لأنه
طعن في علاقته بربه.



زوجته الوفية (رحمة بنت يوسف):

* لم تتخلَّ عنه، وكانت تخدمه
وتأتيه بالطعام.

* واجهت وسوسة إبليس الذي
حاول إغراءها باليأس وذكرها
بالنعيم الزائل.

* وصل بها الحال أن باعت
ذؤابتها (ضفيرة شعرها) لتشتري
له طعامًا.



الجرح الأعماق: "شماتة الأعداء"

بعد أن شفاه الله، سئل أيوب عليه السلام: "أي شيء كان أشد عليك مما مر عليك؟"



قال: شماتة الأعداء.

التحليل: هذا الجواب يكشف أن الألم الروحاني والنفسي قد يفوق الألم الجسدي. فالمرض والفقر ابتلاء من الله، أما شماتة العدو فهي طعنة في كرامة الإنسان وصبره في أضعف لحظاته. إنها محاولة لتحويل الابتلاء الإلهي إلى دليل على الهوان.

*شماتة الأعداء أعظم المصائب والمحن لأنه عذاب روحاني وغيره عذاب جسماني والروح أطف الأعضاء وأرقها.



الحصن المنيع: حدود سلطان إبليس



سمح الله لإبليس أن يمتحن أيوب في ماله وأهله وجسده، لكنه وضع حداً واضحاً لسلطانه.

ما لم يُسلَّط عليه:

- **العقل:** "ولم يسلط على عقله، ترك له ليوحد الله به".
- **القلب:** بقي قلبه عامراً بالإيمان والرضا.
- **اللسان:** بقي لسانه رطباً بذكر الله وحمده.

الدرس اللاهوتي: قوة الشيطان تكمن في الوسوسة والتأثير على الظواهر المادية والجسدية. أما جوهر الإنسان - وروحه وقلبه المتصل بالله - فيبقى حصناً منيعاً لا يمكن اقتحامه إلا باختيار الإنسان نفسه. **الابتلاء كان خارجياً، أما الإيمان فبقي داخلياً صلباً.**

مناجاة نبي: "أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"

بعد سنوات من الصبر، وفي لحظة بلغت فيها المحنة ذروتها، ناجى أيوب ربه. لم يكن دعاؤه شكوى أو تذمراً، بل كان قمة في الأدب مع الله.

تحليل الدعاء

- "أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ": هو مجرد إخبار بالحال وعرض للمشكلة، وليس شكاية. هو اعتراف بالضعف البشري أمام القدر الإلهي.
- "وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ": هو إقرار بصفة الله المطلقة. لم يطلب الشفاء صراحة، بل لجأ إلى صفة الرحمة، تاركاً الأمر كله لتقدير أرحم الراحمين.

متى دعا؟:

تعددت الروايات في سبب الدعاء: قيل عند يأس زوجته، وقيل عند شماتة أعدائه، وقيل حين خشي على قلبه أو لسانه من التوقف عن الذكر. كلها تشير إلى بلوغ الكرب منتهاه.



الاستجابة الفورية: "ازكُض بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ"

جاء الفرج سريعاً ومباشراً. أمره الله أن يضرب برجله الأرض، فانفجرت له عين ماء بارد.



مراحل الشفاء:

1. **الاغتسال:** أمره أن يغتسل منها، فأذهب الله كل ما في ظاهره من بلاء ومرض، وعاد إليه شبابه وجماله أحسن مما كان.
2. **الشرب:** ثم أمره أن يضرب برجله مرة أخرى، فنبعت عين أخرى فشرب منها، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج.

النتيجة: قام أيوب صحيحاً معافى، وقد كُسي حلة، وتحول موضع البلاء إلى روضة خضراء.

الجزاء الأوفى: "وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ"

لم يقتصر الجزاء على الشفاء، بل كان عطاءً كاملاً ومضاعفاً:



الأهل

رد الله عليه أهله الذين ماتوا، فأحياهم له، وورزقه مثلهم معهم. وروي أن الله رد على زوجته شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً.



المال

أمطر الله عليه في داره "فراش الذهب"، وعاد إليه زرعه وماله مضاعفاً.

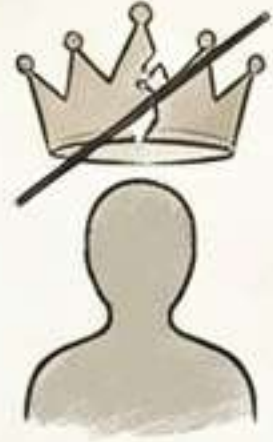


الرحمة في اليمين

كان أيوب قد حلف ليضربن زوجته مائة جلدة. رحمةً بها وببر قسمه، أمره الله: "وَحُذِّ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ". فأخذ حزمة من مائة عود وضربها بها ضربة واحدة.

حِكْمُ الْبَلَاءِ: لماذا يبتلي الله أعظم عباده؟

قصة أيوب ليست مجرد سرد لمحنة، بل هي مدرسة في فهم حكمة الابتلاء. ابتلى الله أعظم عباده لـ:



كي لا يُدَّعى لهم الربوبية:
ليعلم الناس أنهم بشر، مهما بلغوا
من الكرامة.



ليكونوا أسوة للصابرين:
لتكون قصصهم عزاءً ومثالاً يحتذى به
لكل مبتلى إلى يوم القيامة.



ليُعلم أن الثواب ضربان:
ثواب عن استحقاق بالعمل، وثواب
عن اختصاص ومنحة إلهية.



لئلا يُحتقر ضعيف لضعفه:
ليعلم الناس أن المقياس عند الله ليس
بالصحة أو المال، بل بالتقوى والصبر.

اقتباس من الحديث: "أعظم الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل."

نعم العبد، إنه أوّاب

لم يكن صبر أيوب مجرد تحمل سلبي، بل كان صبراً إيجابياً مليئاً بالذكر والرجوع إلى الله. وهذا معنى لقبه "الأوَّاب".

معنى الاسم واللقب:

- **أيوب:** من الفعل "آبَ، يُوُّوبُ"، أي رجع. فاسمه يحمل معنى الرجوع إلى الله.
- **أوَّاب:** صيغة مبالغة، أي كثير الرجوع إلى الله بالتوبة والذكر في السراء والضراء.

الشهادة الإلهية: أعظم وسام ناله أيوب هو شهادة الله في حقه، التي تلخص قصته وإثره الخالد:

إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ

رَحْمَةٌ مِنَّا وَذِكْرٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ

قصة أيوب هي تذكير دائم لأصحاب العقول بأن بعد العسر يسراً، وأن جزاء الصبر يفوق كل تصور.

هي عزاء لكل مكروب، ورجاء لكل صابر، وبرهان على أن رحمة الله أقرب إلى عباده من حبل الوريد، وأنها تسبق غضبه.

الخاتمة: لم تكن محنة أيوب نهاية، بل كانت بداية لمكانة أرفع وجزاء أعظم، ودرساً خالداً في معنى العبودية الحقّة.

